مشهدية المأمولات واختراق الواقع دراسة نفسية لأحلام اليقظة في الشعر الجاهلي

م. م. نور سامي عبيد

Noor.Sami@uowasit.edu.iq

جامعة واسط/ كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية

الملخص:

أخذ البحث على عاتقه مهمة الكشف عن المأمولات الباطنية الدفينة لنخبة من الشعراء الجاهليين الذي اخفوا ازماتهم النفسية وعقدهم بدوافع التنكر أو الهروب من واقعهم بوعي منهم، عبر منظومة أحلام اليقظة التي أفصحت عن مكبوت الشاعر ومخبوءه المأمول، واظهرت الدوافع الشعورية التي جرّت أولئك الشعراء لإنتاج نصوص تعويضية عن رغبات مكبوتة تساموا عن إشباعها في الواقع، فوجدوا في أحلام اليقظة تنفيساً عن رغباتهم ومأمولاتهم، فغدا شعرهم مستودعاً للمكبوت من الأحلام والآمال والرغبات.

Summary:

The research took upon itself the task of revealing the buried inner aspirations of an elite group of pre-Islamic poets who concealed their psychological crises and complexes with motives of disguise or conscious escape from their reality, through the system of daydreams that revealed the poet's repressed and hidden hopes, in addition to the emotional motivations that drove those poets to produce texts. Compensating for repressed desires that they transcended satisfying in reality, they found in daydreams an outlet for their desires and aspirations, so their poetry became a repository of repressed dreams, hopes and desires.

المقدمة:

يكتنه النص الشعري بتقنيات تعبيرية تتوسم في مضامينها مجموعة من الكيفيات التي تحفل بمظاهر التحرر والاختراق، الى عوالم منتظرة التحقق ينسجها خيال الشاعر الإبداعي في نصوصه الشعرية، هارباً من حالة نفسية أو شعورية معينة الى نزعة تمردية تكسر ثبات الزمن عن طريق تحرر نسبي لمراوغة العجز الواقعي، وتحقيق ما لا يتحقق، إذ لا يمكن أن نفهم الأداء الفني والمضمون الفكري للشاعر بمعزل عن فهم التكوين النفسي، وفي ضوء هذا يضع الشعر بين أيدينا مجموعة من الظواهر المهمة من بينها الأحلام.

ولو شئنا متابعة انعكاسها في نتاج الشعراء الجاهليين كان لزاماً علينا الالتفات الى ماهية الأحلام بشكل عام، وأحلام اليقظة بشكل خاص، فضلاً عن متابعة مأمولات الشاعر وكيف يخترق واقعه لإدراك العلاقة بين أحلام الشاعر وتطلعاته من طرف، وإبداعه الحقيقي من طرف ثانٍ.

ولو تابعنا التعريف اللغوي نجد أن " الحُلمُ والحَلمُ: الرؤيا، والجمع أحلام يقال: حَلمَ تَحلَمُ: إذا رأى في المنام"[1]، وتتفق جميع المعجمات على هذا التعريف. أما اصطلاحاً فهو سلسلة من التخيلات، تُعرف عند علماء النفس بأنها وسيلة تلجأ اليها النفس لإشباع رغباتها ودوافعها المكبوتة خاصة التي يكون إشباعها صعباً في الواقع[2]، ففي الأحلام يرى الفرد دوافعه قد تحققت في صورة حدث أو موقف، ولكن غالباً ما تكون هذه الرغبات في الحلم مموهة أو مخفية بحيث لا يعي الحالم نفسه معناها، ولهذا كثير من الأحلام تكون خالية من المعنى والمنطق

بعكس أحلام اليقظة التي تكون منطقية جداً[3]، من هنا فأحلام اليقظة تمثل رؤية المأمول الذي يصنع نسقاً مغايراً بوسعه تخيل مساحات الفراغ التي تعمل على استبدال الدلالات وشحنها بمدلولات مغايرة للواقع.

فهي بمثابة تقنية يستطيع من خلالها الدخول الى محمولات الإنسان؛ كونها تومئ للمكبوتات والرغبات التي يحاول علم النفس استخراجها[4]، فتشيع هذه الرغبات لدى الفرد عن طريق الخيال، للكشف عن العوالم المكبوتة داخل الإنسان، إذ عدّت – أحلام اليقظة – بمثابة آليات دفاعية يجنح اليها الفرد المأزوم، فالتكيف النفسي "يسهم بالشعور بالارتياح في اتزان الفرد وفي ثباته، لكن شعوره بالقلق في مواجهة مواقف الحياة يُسهم في ضعف كفاءته الشخصية واعتزازه بذاته، فشعوره بالفشل أو بالتحقير أو بالخوف، تؤثر على اتزان الذات لديه وتضعه في مخاوف غير واقعية"[5]، وبهذا ارتمى الشعراء في أحلام اليقظة، كونها تتميز عن أحلام النوم، بأن الشخص يشعر خلالها بقدرته على توجيه ما يراه من أخيلة وأوهام، إذ يستطيع أن يبقيها أو يحولها إن شاء، فالإرادة ليست منعدمة فيها، " فالفرق الأساس بين الأحلام/الرؤى، وبين أحلام اليقظة هو فرق بين الوعي واللاوعي فصور الحلم اللاواعية عادة ما تكون مبهمة يلفها الغموض، أما صور أحلام اليقظة فتكون عادة في شكل تأملات فكرية واعية، ولكنها ليست ذكريات عايشتها الذات سابقاً بل صور متخيلة يرغب الشاعر في تحقيقها مستقبلاً،...، وبين عالمي الذكريات والأحلام تقف القصيدة ترجماناً لأحوال الذات في علاقتها بالواقع الذي أصبح أبشع من أن ينقل كما هو"[6].

وبما أن هناك تباين بين الأحلام وأحلام اليقظة بحسب طبيعة كل واحد منها، وارتباطه بما يجيء فيه من دلالات، صار " حلم الغفوة لا يكفي حاجة الشاعر في توكيد ذاته وتحقيق رغباته على النحو الذي يريد، ومثل هذا الحلم يسلب الشاعر إرادته، ويجعله متفرجاً على نسخة خرجت عن طوعه، أما حلم اليقظة فإن صاحبه حاضر في حلمه، ويبقى الشاعر بوضوحٍ كافٍ على وعيه بأن يحلم ويسود أحلامه، وأي سمو وجودي ذلك الذي يجعل من تحويل حلم يقظة ما الى عمل فني ومن كون المبدع منشئاً لحلمه، وعليه يكون الجزم بأن وراء كل قصيدة حلم يقظة "[7].

الشاعر الحالم واختراق اليقظة:

تضيق النفس عند وقوعها تحت تأثير شديد ناتج عن أزمة الواقع، فتحمل صاحبها للهروب الى عالم أفسح يخترق فيه الأزمة ويوازن التناقضات، " فعندما يرتبط الشاعر بأزمة ما في الواقع، أو عندما يصبح الواقع نفسه هو أزمة الشاعر فإن تجربته الشعرية تأتي بالضرورة متجزرة في هذا الواقع، مفندة له ولأدق تفاصيله، ومداخلة له مداخلة حقيقية،...، مؤدية الى انفصال الشاعر عن الواقع، وتجعله يستشرف عالماً فوقياً متسامياً"[8].

تُطالعنا خيـــالاتٌ لسلـمى كمـا يتـطلَّعُ الدّينَ الغريم[9]

من هنا كان على الوعي الشعري الخلاص من قيود الواقع، " محلقا في فضاء آخر تكون فيه الذات بصورة جديدة، ذات جريئة قوية واعية تستطيع أن تستشرف ما هو كائن أو ما يمكن أن يكون افتراضياً واختراقياً وهذا يتم بفعل (الاختراق)"[10]، الذي يعني إنّ على الذات الشعرية أن تخترق عالمها بإمكانياتها لتحقيق ذاتها، ولتتغلب على كينونة العالم السكوني، عن طريق مراودة أحلام اليقظة التي تلبي تفاصيلها غايات الشاعر في

كثير من حالاته، مما تدفعه الى أن يسعى بعد ذلك الى اقتناص لحظات هاربة ليؤسس صوراً بديلة معادلة نفسيا، وخياليا لحالات القهر والحرمان المجتمعي السائد، فإذا انسجم الفرد مع القيم السائدة يصبح سلوكه اعتيادياً، ولكن إذا لم ينسجم الفرد معها فإن الرغبات تكبت في اللاشعور الذي يخزن بدوره كل ما نحب ونكره، بحيث يصبح مستودعاً لكل خبراتنا وتجاربنا السلبية والإيجابية، وبتراكم الرغبات المكبوتة في اللاشعور، تتكون العقد النفسية وتؤثر في حياة الإنسان وشخصيته وتجعله مزدوج الشخصية، وغالباً ما تنعكس هذه الرغبات المكبوتة في اللاشعور في شكل صور وأشكال مختلفة تظهر في الأحلام، حيث هي شكل من أشكال التنفيس عن الرغبات المكبوتة في اللاشعور.

وذكَّرنيها على نأيِها خيَالٌ لها طارِقٌ يَعترِينا[11]

فالإنسان يحلم بما لا يستطيع تحقيقه في الواقع، والتعبير عنه في اليقظة؛ لأنه غير مباح،...، ففي الحلم يخلع المرء الصفة الحقيقية الواقعية عن مادة الحلم، كما أن مادة الحلم لها نزعة شديدة نحو التكثيف، حيث يرمز عنصر واحد من الحلم الى عدد من الرغبات المكبوتة"[12].

إذ يصبح حلم اليقظة في وظيفته الشعرية ممراً الى اختراق الواقع، حين يكسر القيود المستحيلة في واقع الشاعر، ويرسله الى أجواء العالم المنشود مما يسمح بالانصهار في فضاء رحب لتتحرر الذات الشاعرة من الأرضي(الواقع) الى السماوي(حلم اليقظة)، فيعيد بناء رؤيا الشاعر وفق نسق يمكن بموجبه تجاوز الوارد.

وبما أن للشاعر قدرة فائقة على الاختراق ما ينبئ بانهيار الواقع وتمزق الأزمة مستجيراً بحلم اليقظة بحثاً عن استئناس أو اطمئنان، فيبرع الشاعر في دفع أساه وحزنه الى استحضار حلم يقظة الأيام السعيدة المرتهن تحققه بنتاجه الشعري، والمطلوب لذاته باعتباره رديفاً للمأمول عنده، ويركن الى حلم اليقظة؛ لغياب الواقع المطلوب ويلوذ به للتخفف من ألم الراهن، فينشد نعيمه المفقود واقعاً، إذ يحضر مراد الشاعر عبر حلم اليقظة، يجعل الحلم بوساطة اللغة أداة للكشف عن هذا الخفي الغائب، إن المقطع الغائب يجعل الشاعر يعامله معاملة الموجود، وبذلك تتآلف المتناقضات حتى يستبدل الواقعي بحلم يقظة من أجل تحقيقه، ولو أمعنا النظر في أغلب القصائد الجاهلية أدركنا حرص الذات الشاعرة على حلم اليقظة فهو أداة للتخلص من وطأة الحاضر[13].

وَفي كُلِّ مُمسى لَيلَةٍ وَمُعَرَّسٍ خَيالٌ يُوافي الرَكبَ مِن أُمِّ مَعبَدِ
فَحَيّاكِ وَدٌّ مِن هَواكِ لَقيتُهُ وَخوصٌ بِأَعلى ذي طُوالَةَ هُجَّدِ
وَأَنّى اِهتَدَت وَالدَوُّ بَيني وَبَينَها وَما كانَ ساري الدَوِّ بِاللَيلِ يَهتَدي
تَسَدَّيتِنا مِن بَعدِ ما نامَ ظالِعُ الـ كِلابِ وَأَخبى نارَهُ كُلُّ مَوقِدِ[14]

من هذا المدخل يمكننا أن نلج عالم الشاعر الجاهلي وهو يؤسس لواقع مخترق، من خلال تبنيه تكنيك اختراقي للعبور الى عالم حلمي، فقد ظل حلم اليقظة يُعنى بإنتاج معنى جديد قوامه الكشف عما يشغل بال المبدع من حاجات؛ " لأن كل محال اليه هو رهن بالقصد"[15].

مأمولية الجسد وسرقة الواقع:

يزخر الموروث الشعري القديم بتصوير المرأة ومفاتنها، ويعرض الشعراء لمغامراتهم معها ويتغنون في اختراع أروع الصور المعبرة عن عواطفهم، وإذا كان التغزل بالمرأة تعبيراً عما في النفس من أحلام وآمال، فأن صورتها في الشعر الجاهلي كانت مثالية دائماً، فأضفت صفة عدم الاستقرار على الذات الشاعرة محاولة البحث عن التكامل الذي يستمد آليته من التطور الذاتي والسعي الى الهروب من الواقع، فأمعن الشاعر الى ما يعانيه من نقص وحرمان يتمثل في جدب الجمال وشحته، فهو في صحراء مغبرة شاحبة الألوان متناقضة على الدوام، فراح يبحث عن التعويض والبديل،" إذ عد الجسد من أغرب الرهانات التي لم يتفق عليها أحد، غير أن هيدجر استطاع أن يتجاوز هذا المأزق باستحداث مفهوم الجسد الشاعري"[16]، ومن هذا المدخل ولج الشاعر الجاهلي الى عالم المرأة بوصفها أقرب الملذات التي يطمح للحصول عليها لذا " مثلت المرأة الأنثى على أقل تقدير بالنسبة للمبدع المذكر حالة غياب واحتجاب وشهوة، مقابل حضورها لذة وجسداً في لغته، فكانت بذلك مقدمات الغزل في القصيدة العربية في العصر الجاهلي تعبيراً وجودياً عن هذا الغياب والرحيل والبين، وهنا يمكن تفسير الأسباب الكامنة وراء أن تحظى المرأة في الشعر العربي بجمالية جسدية محجوبة/حاضرة، وبرمزية شاعرية لمغازلة المجهول الغائب في مقدمات غزلية جاءت ضرورة لا غنى عنها،...، وعلى هذا الأساس غدت المرأة في حياة العربي هي الشمس رمز الإشراق والغياب معاً"[17].

لَها قَدَمٌ رَيّا سِباطٌ بَنانُها قَدِ اِعتَدَلَت في حُسنِ خَلقٍ مُبَتَّلِ
وَساقانِ مارَ اللَحمُ مَوراً عَلَيهِما إِلى مُنتَهى خَلخالِها المُتَصَلصِلِ
إِذا اِلتُمِسَت أُربِيَّتاها تَسانَدَت لَها الكَفُّ في رابٍ مِنَ الخَلقِ مُفضِلِ
إِلى هَدَفٍ فيهِ اِرتِفاعٌ تَرى لَهُ مِنَ الحُسنِ ظِلّاً فَوقَ خَلقٍ مُكَمَّلِ[18]

فمثلت المرأة/الأنثى حاجة ملحة للشاعر، فضلاً عن كونها أبعد الملذات واصعبها منالاً، وهذا المضمون يتعلق بشعرنا العربي القديم؛ وسببه قائم على القمع الجنسي " بتسمية فالتر براونه" الذي فرضته منظومة القيم العربية قبل بزوغ فجر الإسلام، فزادت في تحديد العلاقة بين الجنسين، وظل الشعراء يلهجون بذكر المرأة بين صاحب تجربة حقيقية فاشلة، وبين غاوٍ، أو مقلدٍ، فذهب الشعراء الى خلق بنية جمالية يتمنى ظهورها في الانموذج، من هنا صار الغزل محملا بقصدية تشكيل المثال لا قصدية اظهار صفاته، فتغدو النتائج قبل التمني وعلى هذا ففيه ملمح قصدي آخر يتجلى في نزعة الشاعر الى خلق صورة متمناه للمرأة، فكثيراً ما نجد أمثلة متنوعة تخترق الواقع الى عالم الطيف واللقاء اللاواعي بالمحبوبة في أحلام يفترضها خيال الشاعر الإبداعي في قصيدته، هاربا من حالته إلى : مزاج خمري يأخذه لواحة يرسم العيش فيها بما يتلائم مع نزعاته الروحية.

شكل احساس المحب في عدم تحقيق هدفه على أرض الواقع، واحساسه بالفشل فيما يتمناه جعله يلجأ إلى اختراق الواقع، والولوج إلى عالم الحلم والخيال، فجاءت المقدمة الرمزية لطيف الخيال مرتبطة بالغرض الذي يكشف عن وصل العلاقة مع معاناة الذات المحبة المحرومة من حبيبها، وبدأ طيفها يراوده ليكون بديلاً معنوياً عن المرأة الذاهبة في فضاء الخيالات الاختراقية الطائفة التي تصل المحبوبة بحبيبها، لتكون هذه المعاني اساساً لحالة رؤية الشاعر لحبيبته خيالاً لا دماً ولحماً بعالم الخيال والحلم"[19].

سرى ليلاً خيالُ من سُليمى فأرقني واصحابي هجودُ

فبتُ أديرَ أمري كل حالٍ وأرقب أهلها وهم بعيدُ
على أن قد سما طرفي لنارٍ يُشبُ لها بذي الأرطي وقودُ
نَواعِمُ لا تُعالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ أَوانِسُ لا تُراحُ وَلا تَرُودُ
سَكَنَّ ببلْدَةٍ وسَكَنْتُ أُخرى وقُطِّعَتِ المواثِقُ والعُهُودُ
فَما بالي أَفِي ويُخانُ عَهْدِي وما بالي أُصادُ وَلا أَصِيدُ[20]

من هنا نستطيع أن ننظر الى أن طيف الخيال كان الوعاء المنتخب الذي يكون حاملاً لمكابدات الشاعر الجاهلي وأحلامه فبنية طيف الخيال هي رمز لليأس والتمسك بالحاجة النشيطة للوجدان الإنساني، وهي نمط من التعبير عن الوعي المنكسر وتحويله الى واقع أكثر تماسكاً من خلال اللاوعي(الحلم) فالطيف إذن نشاط إنساني ونفسي يسترد للوجدان المتجعد حيويته وروحه المفعمة بنعمة اللقاء مع الحبيب الغائب المنشود.

مَن نالَها نالَ خُلداً لا اِنقِطاعَ لَهُ وَما تَمَنّى فَأَضحى ناعِماً أَنِقا[21]

إن رؤى الشعراء التي تستحضر المرأة بهذه الصورة، إنما هي تعبير عن حاجة قوية إليها تحتدم في النفس، فيكون طيف خيال المرأة رمزاً لتحقيقها، وتحقيق الاطمئنان في النفوس القلقة اليائسة التي ترضى بطيف يمر وقد حمل معه الحبيبة النائية"[22]، وفي هذا يكون طيف الحبيبة ومفرداته إيماءات تقترب كثيراً حد الملاصقة من أحلام اليقظة؛ لكونه " يبدع عالماً من الخيال ينظر اليه بمنتهى الجدية، أي عالم يضفي عليه مقداراً كبيراً من العاطفة، وفي الوقت ذاته يفرغه عن الواقع تفريغاً حاداً"[23]. لهذا يمكننا ان نقول إن طيف الخيال هو نسخة مطابقة لحلم اليقظة.

الحضور عبر الغياب:

ارتبطت العلاقة بين الرجل والمرأة في البيئة العربية بسياج من العادات والتقاليد التي لا يمكن أن يتخطاها أحد؛ ولذلك كان لابد دائما من اصطدام العاطفة الهوجاء بسور الواقع الراسخ، ولا ننسى " ما تعايش فيه الشاعر/ الإنسان (الرجل) آنذاك من وطأة المكان الواقعية التي تسحق روح الشاعر، وتشرد حبيبته وتقتل أحلامه وآماله، فيهاجر في الزمان ويتخلى عن المكان ليرسم مأساة الإنسان العربي القديم الذي حرقت قدميه رمال الصحراء المتوقدة سعياً وراء الماء والكلأ، وهروباً من القتل والاضطهاد والظلم والقهر وشظف العيش، فأبيات الغزل في الشعر الجاهلي ترسم خارطة الروح النقية للشاعر العربي القديم الممتدة من الواقع المادي المؤلم الذي يعيش فيه الى عالم الأحلام الذي يشتهيه ويتخيله"[24]، ونتيجة لموقف المجتمع يتأزم موقف المحب، فيقف هو ومجتمعه على طرفي نقيض، فلا هذا يتنازل عن تشدده، ولا ذاك يتناسى.

من هنا مثلت المرأة بالنسبة للشاعر حالة غياب واحتجاب، فراح الشاعر الجاهلي يرمي عواطفه في غياب حبيبة بدت مهملة إلا من أوصاف استجدها الشاعر، ولهذا مثل " غياب المرأة بالملموس المعيش في حياة الشاعر أكثر إثارة لخلق الشعر الناجح من حضورها بالملموس المعيش اليومي، فالحرمان من المرأة هو من دواعي الإستثارة لدى الشاعر لكي يعبّر عن مفقوده والشبع والإرتواء من شفاه وأحضان امرأة إشباع للوجدان المحروم، وإرضاء للنزوع وإطفاء للحرقة ومن ثم قتل للوقدة الأدبية "[25].

أماوي هل لي عنكم من معرس أم الصرم تختارين بالوصل نيأس[26]

من هنا صار" الشاعر الجاهلي دائم السعي من أجل امتلاك وسائل تمكنه من مخاتلة الزمن الحامل لبذور فنائه، فعلى الرغم من انصرام الزمن الذي كان يملك فيه الشاعر إرادة "فعل" واستسلامه لزمن الجدب والفناء، إلا أنه ظل أسير زمن الوجود والذكريات فتراه يحن الى ماضيه الجميل على نحو من الاسترجاع، إنه يرغب في استرجاع الترف المفقود؛ لأنه يجد فيه مجالاً لتحقيق حريته، ومن الظواهر التي تؤدي الى هذا الإنعتاق الحلم، فلطالما " كانت الأحلام مرآة الأعماق الإنسانية بما فيها من رغبات مكبوتة وغرائز ملجومة ومخاوف متوقعه"[27].

انطلاقاً من هذا ربط الشاعر بين رؤياه التي تفضي الى حلم اليقظة واللامتعين واللامحدود فمن الطبيعي أن تأتي سمة هذه الرؤيا في اشكال متشظية مما يثبت أن ملاحقة المعنى يندرج ضمن فاعلية إعادة ترتيب الرغبات حينذاك يأتي الشاعر ليعيد عالمه في نتاجه الإبداعي محاولة منه لإعادة صياغته في ضوء ربط العلاقة بين الرغبة والإمكان مع حلم اليقظة.

إن إستقراء الموروث الشعري للشعراء الجاهليين كفيل بأن يطرح لنا صيغاً متعددة حاول الشاعر الجاهلي فيها إدراك عناصر الجمال في وصفه للمرأة التي زينت جلّ قصائده وصفاً مادياً ومعنوياً يتجلى من خلالهما إبراز الصفات المثالية للمرأة.

مُهَفهَفَةٌ بَيضاءُ غَيرُ مُفاضَةٍ تَرائِبُها مَصقولَةٌ كَالسَجَنجَلِ
كَبِكرِ المُقاناةِ البَياضِ بِصُفرَةٍ غَذاها نَميرُ الماءِ غَيرُ المُحَلَّلِ
تَصُدُّ وَتُبدي عَن أَسيلٍ وَتَتَّقي بِناظِرَةٍ مِن وَحشِ وَجرَةَ مُطفِلِ
وَجيدٍ كَجيدِ الرِئمِ لَيسَ بِفاحِشٍ إِذا هِيَ نَصَّتهُ وَلا بِمُعَطَّلِ
وَفَرعٍ يَزينُ المَتنَ أَسوَدَ فاحِمٍ أَثيثٍ كَقِنوِ النَخلَةِ المُتَعَثكِلِ
....
إِلى مِثلِها يَرنو الحَليمُ صَبابَةً إِذا ما اِسبَكَرَّت بَينَ دِرعٍ وَمِجوَلِ[28]

لقد جمع " امرؤ القيس للمحبوبة من الأوصاف والتشبيهات ما جعل منها نموذجاً جمالياً، ولكن وصفه تنقصه الحركة والتوافق، وكأنما يسجل ملحوظاته، ولا يصور إنسانة تفيض حيوية وحركة، وإذا أمعنا النظر في تلك الصورة، وجدنا أنه على الرغم من عناصرها حسية فإنها تعكس نوعاً من التداعيات الباطنة، ولو أن لوحة انتظمت تلك التشبيهات، لكانت نوعاً من اللوحات السريالية، فالمرأة هنا تمثل الحلم بما فيه من تداعيات، إن الفن كالحُلم من حيث أنه يخضع لتأثير الميول الجنسية والرغبات المحرمة التي تُلزم الفرد بأن يكون العمل الفني بمثابة بلورة أو إسقاطة أو إعلاء اللاشعور"[29]، يبدو امرؤ القيس وكأنه يقدم اسقاطات نفسية وتطهيرا لإحساساته التي يكمن الجنس وراءها بصورة لا تخفى على المتأمل.

ولأن الشاعر الجاهلي " رسم الأنثى المشتهاة كما يرغبها أن تكون، لهث خلفها طويلاً ثم لم يجدها إلا في الحالة الخيالية التي جمعت شهوته وعبادته وعواطفه، كان لابد من أن يشير إليها كجسد يحتمل الخصائص التي

يعشقها؛ ولأنه لا بد من استعارة الجسد الماثل بين يديه، ليصب عليه مشتهياته، فاستعار الحاضر ليرسم عليه صورة الغائب ولمس الشاهد وفي ذهنه المثل الأعلى لمن لم يشهد"[30].

هِركَولَةٌ فُنُقٌ دُرمٌ مَرافِقُها كَأَنَّ أَخمَصَها بِالشَوكِ مُنتَعِلُ

إِذا تَقومُ يَضوعُ المِسكُ أَصورَةً وَالزَنبَقُ الوَردُ مِن أَردانِها شَمِلُ[31]

فلا بد من وجود جسد المرأة في جانب من هذا الشعر الذي " اعتبر الأنثى مفتاح عالمه الشعري، ولكنه الجسد الذي يستحيل تحققه على أرض الواقع، مما يدفعنا الى الاعتقاد بوجود الأنموذج المرسوم في المخيلة، والذي أوحى للشاعر الجاهلي أن يتشهاه عن طرق وصفه، وكأن في لا وعيه أنثى يبحث عنها"[32].

كل هذه وغيرها من النماذج إشارات الى رسم جسد الأنثى الحالم بها، وفق حالة الشاعر التي يكون محكوماً بها، بين الحاضر والغائب بين ما يحسبه مجسداً يحس به متخيلاً، فالشعراء قدموا المرأة تقديماً مثالياً فصنعوا لها النماذج الجمالية التي جعلت منها خيالا، تدل " هذه المجموعة من الصفات التي أخذ الشعراء يحشدونها حشداً للمرأة أنها صفات لا تجتمع لامرأة بهذه الكثرة والاحتشاد – كما وردت في الشعر – مهما بلغت درجة جمالها فهي أقرب الى ذلك النموذج المتفرد المتحقق في الخيال للمرأة الجميلة"[33].

فالشعراء " بشكل عام هم الذين كرسوا الصورة الأحادية الجسدية المثالية المشيئة للمرأة، وهكذا تجلت جماليات المرأة في القصيدة العربية، ولكن هذا التجلي قد ينظر اليه على أنه حلم يقظة"[34]، فهذا الشعر لا يحاكي الواقع الحاصل في الوجود" تجارب فردية منتهية ومحدودة ولا يسرد وقائع حقيقية مما يحدث في الواقع أو يرويها،...، إن الوقائع الغرامية المذكور فيها وقائع منتهية بين الأنا الذي عاشها افتراضاً والأنا الذي يذكرها مسافة زمنية، وأن الحديث عنها صيغ في الماضي التام ايضاً فالأنا الحاضر يذكر من أحوال الأنا الماضية الحالة التي نعم فيها بالصبابة أو اكتوى بأوجاعها المستحبة"[35].

جعل هذا " القصيدة العربية محتفلة بالمرأة موضوعة رئيسة من خلال ما سمي شعر الغزل أو النسيب الى حد تغدو المرأة كما يصورها الشعراء أسطورة تخرج من دائرة الإنسان الى دائرة (حور العين) أو قطعة الحلوى الشهية، ولكن هذه الصورة لم تكن بهذا الشكل في العصر الجاهلي؛ لأن القيم الأبوية كانت تخلق القيود المركبة،...، وتبقى المرأة مهما تنوعت صورها في الشعر الجاهلي، هي غير المرأة/الإنسان المألوفة في الحياة بكدها وشقائها وعذاباتها فهي كانت صورة الجسد المرفه بالجمال والمتعة، لذلك لم يترك الشعراء من جسدها الأنثوي وأخبارها وتصرفاتها إلا ووصفوها"[36].

الانفلات من الواقع الى أحلام اليقظة:

يمثل الشعر أكثر الفنون الأدبية تعبيراً عن لحظات التجارب النفسية، وإيحاءات التجارب الذاتية، ولعل الشعر الجاهلي يؤسس للقاء الكلام العربي مع الحياة من جهة، ومع ذات الإنسان الجاهر من جهةٍ أخرى، وبما أن " النفس الإنسانية مجبولة في أصلها على الإحساس بما يحيط بها من همّ ومذعنة منذ بواكير وقوعها تحت ضغط التوتر والقلق والاضطراب لما يتملّكها من ضيق ومعاناة، تبدو محتاجه الى تعاطي جرعات تحمل معطيات تمهيدية تقترب بمقتضاها الى ولوج عالم يعمه الأسى ويطفح بالخوف،...، وبعد وقوع شديد تحت تأثير تلك

المخاوف وشعور بتكاثف الهموم تضيق النفس وتحمل صاحبها الى الهروب والالتجاء الى عالم أفسح، يخلع فيه مخاوفه وهمومه"[37].

وبهذا صار " جلّ ما يسعى اليه الإنسان في حياته هو إثبات ذاته أو وجوده بواسطة ما يقوم به من أفعال معنوية أو مادية تساهم في ذيوع صيته وتتلاقفه الاخبار ليصبح أيقونة مجتمعية"[38]، فكانت أحلام اليقظة حاملة لكل هذه الرغبات التي عنيت بتركيبها المخيلة، فجاء الشعر الجاهلي متسماً بآليات الدفاع النفسية التي افرغت المكبوت بمأثور الكلام وعالجت المقموع.

من هنا مثلت مرحلة الشيخوخة للشاعر الجاهلي مرحلة انقطاع تام عن المجتمع والتفاعل معه إذ مثلت انتهاء القدر على تحقيق الذات عن طريق الفعل، فأدرك الشاعر طبيعة أزمته فنسج امتثالاً لدواعي واقعه فيضاً متلاحقاً من أحلام اليقظة بديناميات مختلفة.

ذهب الشباب وفات مني ما مضى ونضا زهير كريهتي وتبطلي[39]

فالشاعر يعاود حنينه الى ينابيعه الأولى التي صدر عنها رغما عنه؛ كون " من يتقدم به العمر يكف عن اللعب، ويستغني في الظاهر عن اللذة التي يستمدها من اللعب لكن ما من شيء أصعب على الإنسان من الاستغناء عن متعة سبق أن خبرها، والحقيقة أننا لا نستطيع الاستغناء عن أي شيء؛ لأننا لا نعرف إلا استبدال شيء بشيء آخر، وهناك حيث يبدو أن الاستغناء لا يكون هناك في الواقع إلا صوغ استبدالي، وبدل اللعب صار الإنسان بعد ذلك يجد لذة في التخيل فيبني قصوراً وينصرف الى ما يسمى بأحلام اليقظة، ومن هنا تلك الفرضية التي يكون العمل الأدبي بحسبها مثل حلم اليقظة"[40].

ولهذا غدت " أحلام اليقظة ذات نمط نموذجي أو غير قابلة للتحول، بل انها على العكس تتلاءم عموماً مع انطباعات المرء المتغيرة عن الحياة وتتبدل مع كل تبدل في وضعه،...، وحينذاك تخلق وضعاً يمت للمستقبل الذي يمثل امكانية تحقيق هذه الرغبة، وما يتحقق هكذا انما هو حلم يقظة من أحلام الخيال يحمل آثار منشئه الكامن في المناسبة التي استثارته وفي الذاكرة، وهكذا فأن أزمنة الماضي والحاضر والمستقبل تنشد كلها معاً كما لو أن خيط الرغبة يمر عبرها وينظمها"[41].

وبما أن الأحلام تعوض الحالمين عن نقائض شخصياتهم، وفقر واقعهم، والحصار المضروب حول حريتهم، راح الشعراء يتخذونها منطلقاً يلتمسون فيه ما يعينهم على تجاوز محنة الشيخوخة، فمارس الأعشى في رسم ذكرياتهم بطريقة مختلفة تحمل في مضمونها مأساته في شيخوخته وبين صدود المرأة وفعل الزمن وتقلباته:

بانَت سُعادُ وَأَمسى حَبلُها اِنقَطَعا وَاِحتَلَّتِ الغَمرَ فَالجُدَّينِ فَالفَرعا
وَأَنكَرَتني وَما كانَ الَّذي نَكِرَت مِنَ الحَوادِثِ إِلّا الشَيبَ وَالصَلَعا
قَد يَتْرُكُ الدَهرُ في خَلقاءَ راسِيَةٍ وَهياً وَيُنزِلُ مِنها الأَعصَمَ الصَدَعا
بانَت وَقَد أَسأَرَت في النَفسِ حاجَتَها بَعدَ اِئتِلافٍ وَخَيرُ الوُدِّ ما نَفَعا[42]

إن إحساس الشاعر بوطأة الشيخوخة وما تحمله من متغيرات واقعية دفعته الى الارتماء في عوالم خيالية من صناعته لمواجهة هاجس العجز الذي يعتريه، مما يغريه في تحقيق انتصار على ما يخشاه، " فنرى الشاعر في شيخوخته مغترباً عن ذاته ومغترباً عن مجتمعه، ومنقطعاً عن الناس غي هذا المجتمع،...، حيث يبدو

الشاعر مفارقاً لهذه الذات محاولاً أن يلم شتات نفسه، وأن يرأب ذلك الصدع الذي أصابه حين أصبح عاجزاً عن تحقيق ذاته في عالم الواقع، مما جعله يصنع لنفسه عالماً جديداً، من خلال شعره عالماً يهرب اليه ويعيد فيه بناء نموذجه المحطم، فلا يوجد غير أحلام اليقظة ميداناً يصور فيه تجاربه"[43]، فيتخلى الشاعر عن واقعه فلا يعود جسداً يجر ثقله بل يصبح شيئاً خفيفاً مما يعيده الى كيانه الأول وهو في طاقة وشباب مما يلبي رغبات الشاعر تلبية خيالية فينسج له فيضاً متلاحقاً من المفقودات يخوله التجوال في عالم يرغبه بلا تردد فيغدوا حلم اليقظة عند الشاعر العالم الحقيقي.

ولم يكتفِ الشاعر في بيان جانبه النفسي فقط والخوف مما حصل له، بل أن هناك من تجاوز الى تصوير قدرته على تحقيق الفعل الذي بات يفتقر اليه من خلال مغامرات ترتبط بالخيال أكثر من الواقع، فراح يترجمها فناً بقدرة خلقه وإبداعه ليحدث تسوية بين الهو التي يعيشها وما يرغب به من مفقود:

زَعَمَت أَنَّني كَبِرتُ وَأَنّي قَلَّ مالي وَضَنَّ عَنّي المَوالي
وَصَحا باطِلي وَأَصبَحتُ كَهلاً لا يُؤاتي أَمثالَها أَمثالي
إِن رَأَتني تَغَيَّرَ اللَونُ مِنّي وَعَلا الشَيبُ مَفرِقي وَقَذالي
فَبِما أَدخُلُ الخِباءَ عَلى مَه ضومَةِ الكَشحِ طَفلَةٍ كَالغَزالِ
فَتَعاطَيتُ جيدَها ثُمَّ مالَت مَيَلانَ الكَثيبِ بَينَ الرِمالِ
ثُمَّ قالَت فِدىً لِنَفسِكَ نَفسي وَفِداءٌ لِمالِ أَهلِكَ مالي
فَارفُضي العاذِلينَ وَاِقنَي حَياءً لا يَكونوا عَلَيكِ حَظَّ مِثالي[44]

بهذا التعبير يظهر عمق المعاناة الإنسانية لدى الشاعر وهو راضخ لقيود الزمن، وهي معناة لم يستطع الجاهلي الفكاك منها بواسطة معينة، ونتيجة لهذا الغياب جعل فنه وسيلة تخفف من واقعه؛ لأن " رغبة الشاعر في الهروب من الواقع هي التي تدفعه لعيش أحلام يقظة، إنه يحاول الهروب من حالة إحساسه الحاد بالواقع، واقعه النفسي الذي يموج بألوان الصراعات"[45]، فصورة أفعال الاقتدار للشاعر في محلة العجز معادل صناعي لأحلام اليقظة، التي " تعني وجود تقدير لا شعوري للذات يتعارض مع التقدير الشعوري الذي يضعه الإنسان لنفسه، بمعنى أنها تصور الإشباع الفكري للرغبات اللاشعورية المكبوتة، فضلاً عن أنها تنطوي على اتجاه معين نحو العالم يختلف عن الاتجاه الشعوري لدى الفرد، كما أن هذه الأحلام وسائط مهمة بين الدوافع والنشاط المحسوس"[46]، ففي مواجهة ذلك الحرمان وانصراف المرأة يتخيل الشاعر نفسه قادراً مواصلة النساء، فيقدم لنا صورة من مغامراته التي تبدو وكأنها نوع من الإغراق في حلم اليقظة.

ومن خلال أحلام اليقظة وجد الشاعر أداة الربط بين نسيج الواقع وبين حاجات نفسه ورغائبها في متع يرسمها في لوحة شعرية بديعة، وهذا الرابط من الواقعي الى الحلمي هو الذي جعل القصيدة العربية الجاهلية مسكونة بعلاقات التناحر والغياب، لما لأحلام اليقظة القدرة على التجميل؛ لأنها تجد الوسيلة كي تجعل الرغبات تتصف بدينامية عالية للدخول الى عالم جديد فيرى الشاعر ذاته ناضجة مزدهرة، إلا أن " التخيل الذي يستحضر من خلال حلم اليقظة ليس من أصل ودلالة حقيقيتين إلا الأصل التخيلي وهو تحقق مقنع لرغبة مكبوتة"[47]، فيتبلور حلم اليقظة وتفلت فيه الأشياء من علاقتها المعتادة، مما يسمح بانفلات طاقة الخيال المختزنة التي تُحمّل

الأشياء طاقة إضافية، وتدخلها في سلسلة جديدة من العلاقات إذ تقوم بتحرير الضغوط والتعبير عن الرغبات، وتعيد تركيب شبكة جديدة من العلاقات المتحققة في مخيلة الشاعر، مما يجعل الشاعر يغادر الوعي بالموجود المألوف رغم السمع والبصر، وتتعطل الحواس، مما يجعله يمارس وعياً اشبه بالحلم في لحظات اليقظة.

وما دام العمل الفني/ الشعر " تشكيل يواجه تشكيلاً، فهو بناء يواجه بناء، إن الفنان يواجه واقعه بتشكيل مقابل يقهر التشكيل التاريخي ويعيد بناء الواقع، فلا نعود أمام شخص موحد النزعات بل أمام أنماط من السلوك، وقد حفلت المغامرات الغزلية بهذا النوع من السلوك، " فإن رغبة الشاعر في بعث هذه القصص المتفجرة بالشباب، والحيوية هو لعقد الموازنات بين الماضي السار والحاضر الحزين"[48].

سَمَوتُ إِلَيها بَعدَ ما نامَ أَهلُهـــا سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حالاً عَلى حــالِ
فَقالَت سَباكَ اللَهُ إِنَّكَ فــــاضِحي أَلَستَ تَرى السُمَّارَ وَالناسَ أَحوالِ
فَقُلتُ يَمينَ اللَهِ أَبرَحُ قـــــاعِداً وَلَو قَطَعُوا رَأسِي لَدَيكِ وَأَوصَـــالِي
حَلَفتُ لَهـــا بِاللَهِ حَلفَةَ فــاجِرٍ لَنَامُوا فَما إِن مِن حَدِيثٍ وَلا صَـالِ
فَلَمّا تَنازَعنـــا الحَديثَ وَأَسمَحَت هَصَرتُ بِغُصنٍ ذِي شَمــارِيخَ مَيّالِ
وَصِرنا إِلى الحُسنَى وَرَقَّ كَلامُنا وَرُضــتُ فَذَلَّـــت صَعبَةٌ أَيَّ إِذلالِ
فَأَصبَحتُ مَعشوقاً وَأَصبَحَ بَعلُهـا عَلَيهِ القَتَامُ سَيِّئَ الظَّنِّ وَالبـــــالِ [49]

فالشاعر حول نصه إلى إبداع متحرر من الحقائق الإخبارية الواقعية مطلقاً، من خلال رسم صورة لمغامرة أعاد انتاجها من خلال إبداعه إلى عالم متخيل يختلف عن الواقع يتصف بالغرائبية ويتناقض تناقضاً إبداعياً مقبولاً مع ميتافيزيقيا الواقع، فانعكست في أبياته التي بين أيدينا من خلال ركوب أحلام يقظته.

وهو يعلم أن الواقع يمثل الحد الفاصل الذي لا يستطيع تغيير حركيته فيهرب الى حلمه الذي لا يقوم بخلق واقع جديد فقط بل يعمل على تجميد حقيقة الواقع الأول، ويكشف بوضوح عن الغرائز الملجومة والشهوات المكظومة في مجتمع يفصل الرجل عن المرأة، فالنكوص الى أحلام اليقظة يرضي صاحبه/ الشاعر على صعيد التوهم ولكنه يصدمه على سبيل الواقع، لكونه " يمثل إنجازا متنكرا لرغبة منسية أو أنه على الأقل محاولة إنجاز"[50].

نحن لا نريد أن نحلل أو نناقش كل نصوص المغامرات الغرامية للشعراء الجاهليين، فهذه قد تستدعيها مناسبات أخرى، وليس هذا هدف البحث، لكن نقف عند مستوى مهم استخلصناه من حضور هذه المغامرات وهو دور حلم اليقظة الفاعل في ربط عناصر هذه المغامرات وتقديمها كبنية متخيلة بعيدة عن الأسلوب الواقعي المباشر – وإن كان فيها شيء من الواقع–، فبنية هذه المغامرات تحمل " بطولة الشاعر وشجاعته وعزيمته على تجاوز المخاطر للقاء بحبيبته، في مقابل صورة زوج الحبيبة، الذي استهان به الشاعر لعدم كفاءته على حماية زوجته، فهو غير فعّال ولم يستطع فعل شيء،...، ومن الواضح أن صورة الزوج في مثل هذا النص وغيره من النصوص صورة مفتعلة ومغايرة لواقع الحياة الاجتماعية وطبيعة تقاليدها، فالعربي يأبى حتى التضحية بالنفس أن يدنس شرفه وعرضه، ولكن الشعراء العرب وظفوا هذه الصورة ليقابلوها بصورتهم المجسدة لبطولتهم وتميزهم عن أزواج حبيباتهم غير الأكفاء بحيازتهن"[51].

فحلم اليقظة يعمل على تحويل اللغة الى هوس الانتشاء في مطلق تجلياتها ويعدم الروابط المعقولة واللامعقولة ولا يظهر إلا حالة الإشباع واللاارتباط المفرط بالواقع إذ تتشكل الرؤيا لتقوم بالربط بين المتباعدات في الواقع وفي مثل هذه اللحظة يخرج الشاعر ويمتزج بصورة لا تمت الى ظرفه بشبه مباشر ولكنه يرتمي في حلم اليقظة بوصفه قالباً يرتضيه لمعاناته النفسية ومشاعره، من منظور أنه الأقدر على ترجمة ما يتراءى للذات المبدعة، وما تستوحيه وتستلهمه وتتوق اليه فبهذا يخلخل الشاعر كل العلاقات المنطقية بين الأشياء ويشكل لوحته المزاجية، ما يجعل من النص الشعري بنية مضادة لمنطق العقل لذلك مثل الشعر صنو الحلم.

سرابية الهدف ومأمولاته النصية:

انعكست التجربة الحياتية للشاعر على صفحة نتاجه الشعري، وارتبطت هذه التجربة بما يلقاه من الواقع" فالتجربة وحدها هي الكفيلة بخلق الوعي اللازم لإدراك الواقع والبديل معا"[52]، ولو استحضرنا أخبار بعض الشعراء الجاهليين ممن غدت حياته صورة من التناقض والتضاد بين المأمول والمستحيل سنفق على جملة من المعطيات التاريخية والاجتماعية التي تكشف لنا عن حجم المعاناة التي أثر على نتاجهم الشعري، فغدا شعرهم مستوعباً لانفعالاتهم وأحاسيسهم.

إن من أهم الأحداث الكبرى التي مرت على أرض العرب وشكلت ذاكرة جمعية مهمة لدى الشعراء تمثلت بسقوط مملكة كندة، فجاء هذا الحدث التاريخي ليأخذ حيزه في مجال الشعر، لا سيما في شعر امرؤ القيس الذي عانى من ضياء الملك وتبدد الثروة وظل يبحث عن حلمه المنشود في إعادة حكم مملكة كندة على العرب؛ ولكنه مطلب صعب التحقيق، فشكلت عنده هذه الهواجس ما يؤرق لياليه ويحرمه من الراحة والهدوء " بأفول مجد كندة ومقتل أبيه وضياع الملك من يديه وفقدان هيبته أمام القبائل بوصفه ابن ملك مهاب، والشاعر وإن لم يقل ذلك بجلاء فإن شعره كله يوحي بذلك ويرمز للإحساس بالمعاناة "[53]، فراح يبحث عن وسيلة تمكنه من مخاتلة الواقع أو إعادة تشكيله كما يرغب.

وأحس أن ما يعوض هذه الإخفاقات والمآسي كلها ويحقق له ما يريد نفسياً يكمن في الانخراط في أحلام اليقظة، "فالحالم في اليقظة يجعل من خياله وسيله للحصول على إرضاء نرجسي لشخصه الخاص "[54]، ورغبة في استرجاع الترف المفقود فيجد فيه مجالاً لتحقيقه، فبدت معلقته مهيأة بكاملها لإدخال في حلم يقظة يلملم فيها أطرافه:

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بِسِقطِ اللَّوى بين الدَّخُولِ فحومَلِ

....

كدأبِكَ من أمِّ الحواريثِ قبلَهَا وجارتِها أم الربابِ بمأسَلِ

ففاضت دموعُ العينِ مني صبابةً على النحر حتى بلّ دمعي مِحمَلي

أَلا رُبَّ يَومٍ لَكَ مِنهُنَّ صالِحٌ وَلا سِيَّما يَومٍ بِدارَةِ جُلجُلِ

وَيَومَ عَقَرتُ لِلعَذارى مَطِيَّتي فَيا عَجَباً مِن كورِها المُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ العَذارى يَرتَمينَ بِلَحمِها وَشَحمٍ كَهُدّابِ الدِمَقسِ المُفَتَّلِ

وَيَومَ دَخَلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيزَةٍ فَقالَت لَكَ الوَيلاتُ إِنَّكَ مُرجِلي[55]

إن وقفة امرئ القيس في معلقته تمثل وقفة البكاء الكبرى، مثلت محاورة مراوغة، للتخفيف من نفسية الشاعر، من خلال رقية شعرية لاستحضار روح الماضي، ليعانق الحاضر ليعالج الشاعر ذاته المتهالكة تحت ركام أحلامه وأشواقه؛ لأن "محتوى الحلم تحدده دائماً شخصية الحالم الفردية وسنه ونوعه وطبقته ومستوى تعلمه، وأسلوبه المألوف في الحياة وما اشتملته حياة السابقة جميعها من التجارب والأحداث"[56]، فسقوط الشاعر في دائرة الوهم وعدم ائتلافه مع واقعه بكل مفارقاته، وأمام إحباطاته الكثيرة يفر الشاعر الى توهم أن ما يحدث هذا ليس حقيقة، فيسقط تجربته باعتبارها الواقع المنشود ليتداخل المأمول في المستحيل، مما يجل المأمول متخيلاً ساقطاً في دائرة الوهم الكبرى التي خلقها الشاعر، فينكفئ نتيجة ذلك على ذاته ويتموضع على نحو خيالي، ويتعامل معه كما لو كان حقيقة فالإنسان قد يصدق تجربة الوهم ويتعامل معها.

إذ يوصف حلم اليقظة حلاً مؤقتاً للمشاكل التي يتعرض لها الشاعر، فيكون "مسلكاً تعبيرياً يتيح للناظم أن يتقفى علامات الحياة ويغالب وطأة الزمن الحاضر، وكأنما الغاية المنشودة التثبت بهذا الموضع والتعلق به باعتباره آخر ما بقي من مظاهر ملموسة كانت شاهداً على مرحلة من حياة الواصف، وحري بنا القول إن لحظة الوقوف على أحلام اليقظة تتيح للشاعر أن يبوح بلحظة الانكسار النفسي التي تستبد به لغياب الواقع فتطمس معالمه"[57].

وليلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرخى سدولَهُ عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي
فقلْتُ لَهُ: لمّا تَمَطّى بجَوْزِهِ وأرْدفَ أعجازاً وناءَ بكَلْكَلِ
ألا أيّها اللَّيلُ الطويلُ ألا انجلي بصبْحٍ وما الإصباحُ فيكَ بأمْثَلِ
فيالَكَ مِنْ ليلٍ كأنَّ نجومَهُ بكُلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بيذبُلِ
كأنَّ الثُّريّا عُلِّقَتْ في مَصامِها بأمراسِ كتّان الى صُمِّ جَنْدَلِ[58]

إن ما نستشفه من هذه الأبيات الموسومة بليل المأساة هو الوضع المنكسر لنفسية الشاعر فلم تجد نداءاته صدى، فوقف عاجزاً أمام ما يتعرض سبيله، لذا جاءت معلقته على شكل موجات من الذكرى لتنتج دلالات موحية بتتابعها علها تسهم في إنتاج مجازات جديد تغاير الواقع، الأمر الذي أدى بالشاعر الى أن ينجر الى القنوط والإحباط، فلم " يكن الشاعر يريد أن يصور الليل الطبيعي الذي عاشه الناس في الصحراء، ولا أراد أن يجعلنا نكتفي بتصور هذا الليل الذي يشبه موج البحر ويرخي سدوله بل أراد أن يحملنا الى مشارف ذلك الإحساس الذي كان لديه بمعاناته لشيء يتجاوز الليل،...، فنجد اجراءاً توجيهيا يعمل على احضار العناصر الواقعية في النص والعمل في الوقت نفسه على اقصائها أو على الأقل وضعها في مواقع معتمة"[59].

فماذا تعني له الحياة وهو يئن من عبئها؟، أمام هذه المفارقة لم يجد إلا مواجهة فقدان حقيقة وجوده؛ لكونه جرد من كل الامتيازات التي كان يتمتع بها وأصبحت حجارة الأرض تطالبه، وفي مثل هذا الوضع لم يكن أمامه إلا التظاهر بأنه لا يتصدع بما أصابه من انهيار لكنه ادعاء استنكاري يلتمس له من الأسباب ما يجعله مباحاً، وهذا واضح في شخصية الشاعر، فهو الملك الأمير والشاعر الذي يريد أن يدخل التأريخ بشعره ومغامراته

ومواقفه الصعبة، التي تنتهي إلى تراجيديا الدمار والخراب حتى قضت به إلى الموت، فالمعلقة تشير الى نشاطات ترويحية أو تنفيسية لأحلام وتطلعات محبَطة، ومتكدسة في صدره لا يستطيع الإرتقاء إلى تنفيذها، فعليه أن يتمسك بها في خياله[60].

والواقع أن شاعرنا أضحى سابحاً في أحلام اليقظة ما دام عاجزاً عن التكيّف مع الواقع والقبول بأعرافه، فيخضع اضطراراً الى جدلية الحضور والغياب، فلجأ الى هواماته الفنية تعويضاً عن الواقع؛ لأن مواجهة الواقع عسيرة فلا بد من الهروب والتمسك بالأمس الجميل، فراح يبحث في مخزونه الماضي عن صور ذلك الأمس، وارتد الى ذاته فبعثها من مرقدها عن طريق أحلام يقظته، بعد أن فقدت الأمل بعيشها أو العثور عليه في واقع الحياة، فتحول عندها الأحلام الى واقع من أجل أن تبتعد عن يأسها بسبب تأزم ذاتها، وجعلها تصل الى أن تعيش هذه الأحلام في اليقظة، فالشاعر يرجع أمام الحدث الحاضر صدى الحدث القديم، وعملية الإبداع توفر له قدرة الارتداد الى الوراء بما فيه من إيقاع.

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأَوابِدِ هَيكَلِ

....

وَظَلَّ طُهاةُ اللَحمِ ما بَينَ مُنضِجٍ صَفيفَ شِواءٍ أَو قَديرٍ مُعَجَّلِ

....

أَحارِ تَرى بَرقاً أُريكَ وَميضَهُ كَلَمعِ اليَدَينِ في حَبِيٍّ مُكَلَّلِ[61]

من هنا تتضح رؤية الشاعر من خلال " تبديد صور الألم التي يشعر بها عندما يجعل من رغباته في بوتقة أحلام اليقظة؛ لأن القصيدة من حيث هي حلم على رأي كثير من الدارسين النفسيين تعد ارتباطاً بين مجموعة من الرؤى والصور والأفكار المندمجة في وحدة مفردة خلال حالة نفسية تربط بينها،...، أن في القصيدة دلالات عميقة ذات ارتباط واسع بأحلام الشاعر الضائعة، وللكشف عن حالة انهيار نهائي لطموحات أمسه وأحلامه"[62]، فعوض امرئ القيس عن سرابية المملكة بالمغامرات والصيد.

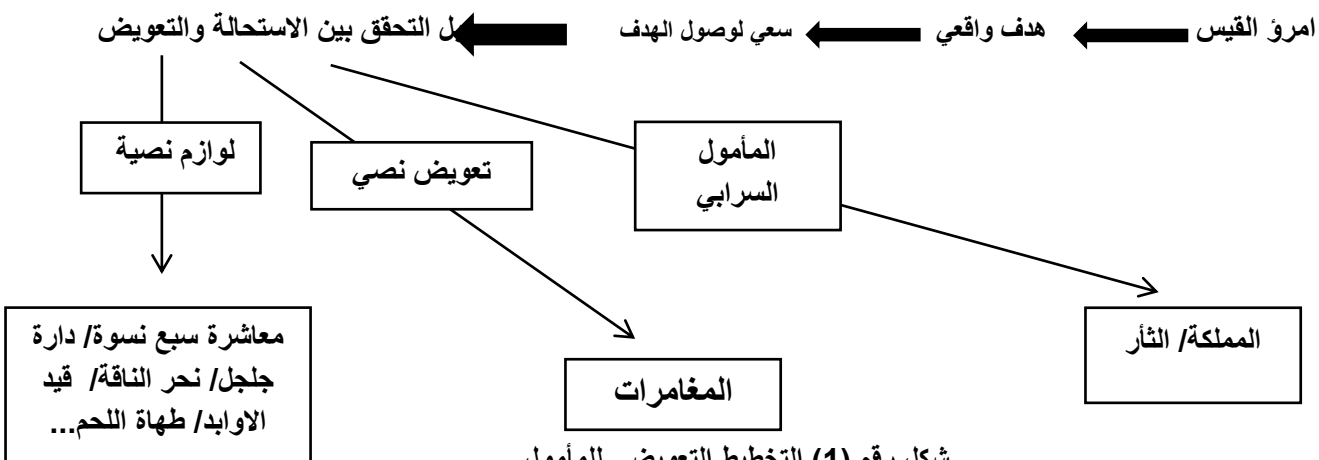

شكل رقم (1) التخطيط التعويضي للمأمول

فلا غرابة بعد ذلك أن يوهم الآخرين بأنه قادر على أن يفعل؛ لكنه لا يحقق ما يريد بسبب الموانع والمعوقات، فيخرج من مفردات الممكن إلى مفردات المستحيل، ويبدأ بوصف الحالة على أنها شيء لا يمكن للبشر أن يكون عليه، وهذا المراد الصعب الذي يحلم بتحقيقه سيدفعه إلى البكاء الشديد والندب؛ لأن ما يجيده في حقيقة الأمر، هو البكاء على الأطلال والندب وقد أقر في بداية المعلقة بذلك، فتتكشف هنا اندفاعات العقل نحو الغرائبية، والتعبير عن سلوكيات غير مألوفة، لكي تمنح القائم بها خصوصية وتفردا لا يساويه فيه أحد.

لقد منحت أحلام اليقظة مخيال الشاعر بآليات فائقة لتطويع واقعه وخلقه كما يشاء " فمجال الخيال كان ولا يزال ذخيرة تشكلت عند الانتقال الأليم من مبدأ اللذة الى مبدأ الواقع من أجل منح بديل للإشباع الغريزي الذي تفرض الحياة مفارقته فالشاعر ينصرف بعيداً عن هذا الواقع الذي لم يعد كافياً نحو عالم من الخيال"[63]، فطرفة هنا ينتصر على واقعه بتجاهله والعيش في واقع لا يرتبط به تماما، فينقطع عن الواقع القائم من خلال التحليق في سرابيات التصورات، فيتحقق في حلمه اليقظوي ما يرضي رغباته وما يطمح اليه.

فَذَرني وَخُلقي إِنَّني لَكَ شاكِرٌ وَلَو حَلَّ بَيتي نائِياً عِندَ ضَرغَدِ

فَلَو شاءَ رَبّي كُنتُ قَيسَ بنَ خالِدٍ وَلَو شاءَ رَبّي كُنتُ عَمروَ بنَ مَرثَدِ

فَأَصبَحتُ ذا مالٍ كَثيرٍ وَزارَني بَنونَ كِرامٌ سادَةٌ لِمُسَوَّدِ[64]

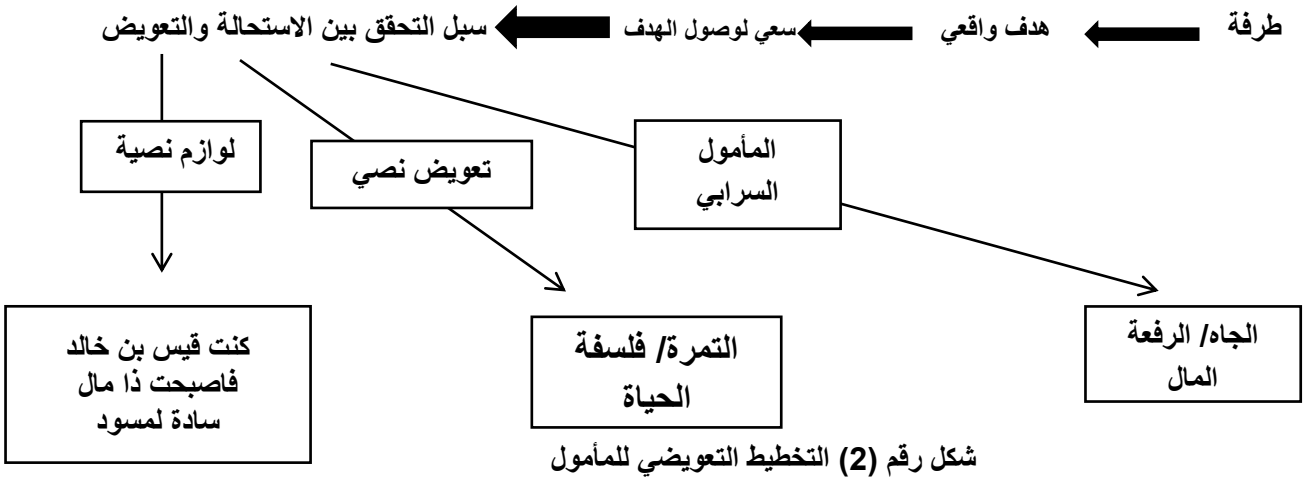

شكل رقم (2) التخطيط التعويضي للمأمول

وإذا ما رجعنا الى تمعن نصوص الشعر الجاهلي ألفينا أن الأمر لم يكن محصوراً عند فئة معينة من الشعراء بل تعدى الى الشعراء الفرسان، فعنترة لم يكن بالسيد المقدم في قومه، ولم يكن صاحب مال حتى يحقق ذاته، فضلاً عن نظرة المجتمع الدونية وعقدة اللون التي كانت تلازمه، وما دامت الذات الشاعرة تمتلك حساً وتعبر عنه بانفعالاتها النابعة من كيان يذوب في مسافات لا متناهية من اللاوعي، فكلما طرأ عليها حدث خارجي حرك فيها دوافع الإمساك بالرغبات، والانفصال عن واقعها المأساوي الذي يمتلأ بالتناقضات، من هنا راح عنترة يبحث باستمرار عن هويته، فكونت لديه تقلبات لصقت به واستقرت في شعوره، وعلى الرغم من ذلك فإن الشاعر لم يستسلم الى هذه السوداوية الاجتماعية وضيقه بالواقع بل راح يبحث عن منفذ للخروج منها لذا لجأ الى حلم اليقظة للتعويض.

إن أول ما واجه عنترة بعد عقدة اللون الإحباط في مواصلة المرأة، وعدم اكتراثها ببطولاته فطيف عبلة وخشونة الواقع يمثلان عنصرا الهم عنده، فتنعمه بوصال ابنة عمه نمط من التابو.

يا دارَ عَبلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمي وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَةَ وَاِسلَمي

....

حَلَّت بِأَرضِ الزائِرينَ فَأَصبَحَت عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ اِبنَةَ مَخرَمِ

أَثني عَلَيَّ بِما عَلِمتِ فَإِنَّني سَمحٌ مُخالَقَتي إِذا لَم أُظلَمِ[65]

فالشاعر " كما تشي قصائده وأخباره فتى مأزوم تماماً يشكو سقماً نفسياً أضر به كثيراً ألا تراه يقظاً مثله حالماً، فهو لسبب وراثي لا شأن له فيه ولا ذنب منتم الى مغبة العبيد الذين لا تلمح صورهم وأقدارهم إلا من خلال الأعطان والحلب والرعي أو القدور والطبخ أو الظعن والأمتعة،...، وعنترة الى هذا مغموز الأرومة فإذا قابلنا كل هذا أدركنا حجم محنته وأدركنا أهمية الحلم عنده "[66].

أَنا العَبدُ الَّذي خُبِّرتِ عَنهُ رَعَيتُ جِمالَ قَومي مِن فِطامي

أَروحُ مِنَ الصَباحِ إِلى مَغيبٍ وَأَرقُدُ بَينَ أَطنابِ الخِيامِ

أَذِلُّ لِعَبلَةٍ مِن فَرطِ وَجدي وَأَجعَلُها مِنَ الدُنيا اِهتِمامي[67]

فالحبيبة عنده إشراقة الحلم التي تبهج الشاعر، وسبيله في تجاوز محن الواقع المعمول الى الكون المأمول، إلا أنه يصطدم بالواقع ويجده غير ما يريد من هنا يرتمي في أحضان أحلام اليقظة فيتراءى له العالم على نحو ما يرسمه، فيصنع مقاربة تعيد إنتاج واقعه كما يريد، متجرعاً آلامه الداخلية ؛ ولأن شاعرنا بطل فإن بطولته تلك تفرض عليه لوناً من الصمود والتمرد على أزمته النفسية تلك ليعود من جديد الى دوره، لذا فإن تجربته تكون سجل حافل بالرؤى[68].

لَقَد قالَت عُبَيلَةُ إِذ رَأَتني وَمَفرِقُ لِمَّتي مِثلُ الشَعاعِ

أَلا لِلَّهِ دَرُّكَ مِن شُجاعٍ تَذِلُّ لِهَولِهِ أُسدُ البِقاعِ

فَقُلتُ لَها سَلي الأَبطالَ عَنّي إِذا ما فَرَّ مُرتاعُ القِراعِ

سَليهِم يُخبِروكِ بِأَنَّ عَزمي أَقامَ بِرَبعِ أَعداكِ النَواعي

أَنا العَبدُ الَّذي سَعدي وَجَدّي يَفوقُ عَلى السُها في الاِرتِفاعِ

سَمَوتُ إِلى عَنانِ المَجدِ حَتّى عَلَوتُ وَلَم أَجِد في الجَوِّ ساعي[69]

في هذه الأبيات تتجلى بوضوح محنة الشاعر، فهو يعيش حلم يقظة يرتفع به عالياً ليحقق لنفسه مكانة اجتماعية يفتقر اليها من خلال سمونه الى نسب أصيل، ويوهم نفسه بحب عبلة من خلال بيان أفعاله البطولية لها، وهو نوع من المواربة يصبح الشاعر في مقدوره التوغل بين الممكن والمستحيل فينشئ حالة عشقية غير مماثلة للواقع تكشف عن خواء عاطفي ووجداني تجاه عنترة، فهو لا يمتلك القدرة على التغيير، لكن لحلم اليقظة إمكانية خلق البديل الافتراضي على الأقل من ناحية الرؤيا بوصفه آلية فعّالة ومؤثرة لإقصاء الواقع المعاش وعزله إذ يسبح الفنان في آفاق ينسى نفسه خلالها ويغوص في مجالات غير واقعية يستخدم في أثناء القيام بها العناصر اللاشعورية المكبوتة لديه فيتمنى فيه الشاعر لنفسه من السيادة والشرف والحب وكل ما حرم منه،

ولهذا تبدو ذات عنترة خالقة لأكثر من صورة حالمة تنسج لنفسها عوالم متخيلة لا يمكن أن تتحقق في مبدأ الواقع، وإنما كبدائل مرتبطة بحالة يعيشها الشاعر موزعاً بين الطموح والرجاء فيعوض عن سرابية الاعتراف الوجودي بالفروسية والنبل.

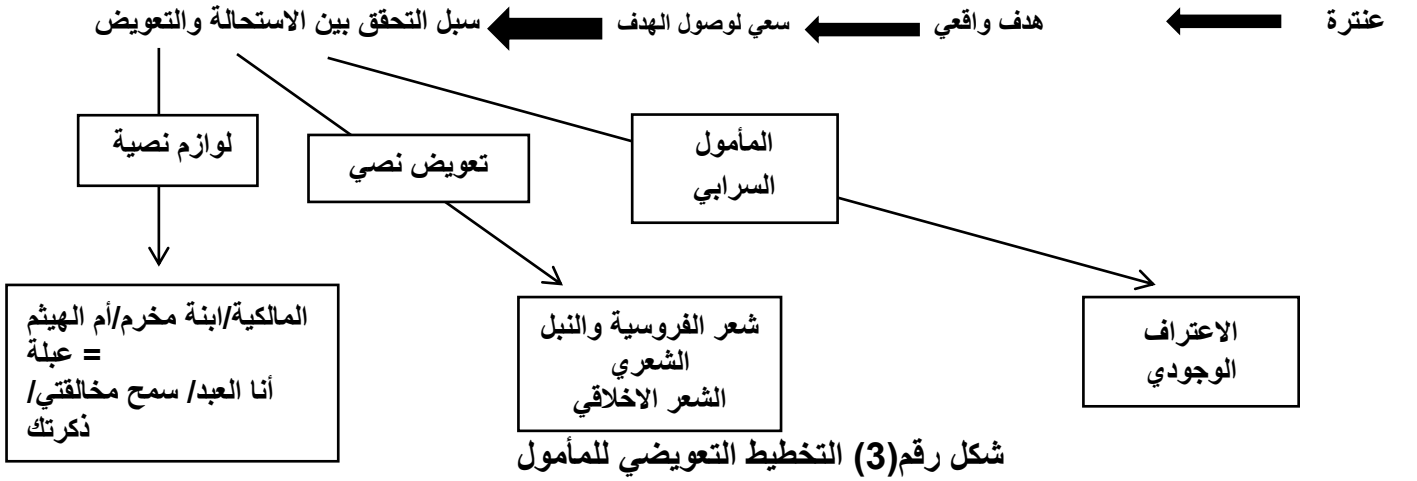

شكل رقم(3) التخطيط التعويضي للمأمول

ولم يبتعد كثيراً سحيم عبد بني الحسحاس عن تجربة عنترة فهو ايضاً عانى من عقدة اللون والانتماء إلا أن تجربته الشعرية واتجاهه لحلم اليقظة جاء مغايراً لعنترة بحكم أن التجربة الشعرية ذاتية وتتبع من معاناة المبدع نفسه، من هنا اختلفت طبيعة التعامل والتوظيف، فقد كان سحيم مسلوب الإرادة هائماً بين سؤال الهوية واستجداء الطريق الذلول، مرتهن بين ما يصبو اليه وما هو عليه، فعوض عن سرابية الثبات النفسي العقدي بالتغزل الكيدي والفتوة والشباب.

عُمَيرةَ وَدِّع إِن تَجَهَّزتَ غَادِيا كَفَى الشَيبُ والإِسلامُ لِلمَرءِ ناهيا
جُنُوناً بِها فيما اعتَشَرنا عُلالةً عَلاقَةَ حُبٍّ مُستَسِراً وَباديا
لَيالي تَصطادُ القُلوبَ بِفاحِمٍ تَراهُ أَثيثاً ناعِمَ النَبتِ عَافِيا
وجيدٍ كَجيدِ الرَيمِ لَيسَ بِعاطِلٍ مِنَ الدُرِّ والياقُوتِ والشَذرِ حالِيا[70]

يحيل النص الى مضمرات متأملة ملفوفة في جانب حلم اليقظة المنشود، ففي حالة الانفصام واستلاب الذات يتجاوز الشاعر من فكر التشاكي الى الدعوة الى التطلع والتماسك فيسعى الى جعل الخيال ممكناً في شعره، "وفي ضوء ذلك يتأكد محاولة ربط العلاقة بين الرغبة والإمكان عن طريق أفق حلمي يتخذ من لا وعي الصورة مجالاً للخيال الإبداعي الموحي، من منظور إن الحلم والشعر يتقاسمان الخيالة التي تصور على أنها حرية في مجابهة الواقع، وهو بهذا الصنيع يتقصد بناء أفق شعري يمتاح من شعرية الإضمار كقناع إستاطيقي، يضمر أكثر الدلالات تشظياً"[71].

أَقَلِّبُها لِلجانِبين وأَتَّقي بِها الرِيحَ والشَفّانَ مِن عَن شمالِيا
أَلَم تَعلَمي أَنِّي صَرومُ مُواصِلُ إِذا لَم يَكُن شيءٌ لِشيءٍ مُواتِيا
وأَقبَلنَ مِن أَقصَى الخِيامِ يَعُدنَني نَوَاهِدَ لَم يَعرِفنَ خَلقاً سَوائيا[72]

إن سحيم يحاول إيصال ما في نفسه الى المجتمع عن طريق حلم اليقظة الممزوج بغزلة الكيدي، إذ جنى على نفسة حينما تظاهر بالفتوة والشباب، فقد أخفى بين طياته إحباطات موجعة عبر عنها بأحلام يقظة لكون المجتمع كان له بالمرصاد، "فالفنان في محاولته للتخلص من ضغوطه النفسية، لابد أن يبوح بمكنونات صدره، فيرسم بالكلمات صورة يعرّي فيها نفسه هو، فيسارع الآخرون الى اتهامه بالعري، أي إنه يلتقط من الحياة أوضاعاً يحسبها الناس خاصة بهم فيرسمها على أنها ملك له، بينما لا يعني الشاعر من تلك اللقطات إلا حلمه هو"[73].

فسحيم عبر عن تمثيل جنسي كان يحقق ذاته فيه، ويلبي رغباته التي لم تنفذ قط،" أن موقع الشاعر الاجتماعي كان مهزوزاً؛ بسبب العبودية والرق الناشئين عن سواد لونه فراح يتغزل غزلا فاضحا ليقاوم قسوة الإحساس المؤلم بالدونية المفروضة من مجتمع يقرر عبودية الرجل العبد، ويعوض حرمانه من المرأة الناشئ عن هذه العبودية، وفي ذلك دلالة واضحة على أن بنية النص الغزلي عند سحيم محملة بمعاني الرفض والمقاومة، ولهذا كانت المرأة في غزله حلم يقظة يعيشه الشاعر محاولة منه للخلاص من إحساسه بالنكوص، ذلك الشعور الذي ينتاب الفرد ويشعره بأنه مضطهد بين الأفراد في المجتمع، ومن هنا كان تركيزه على نعت نفسه ببياض الخلق، تحدياً للمجتمع وخروجاً على موجباته وأعرافه"[74].

فَلَو كُنتُ وَرداً لَونُهُ لَعشقتَني وَلَكنَّ رَبّي شانَني بسَوادِيا[75]

فاستعمل حلم اليقظة ليخرج من شعوره بالدونية والاضطهاد، واراد إثبات وجوده على أنه أحد بني عامر وليس مستبعداً مستذلاً؛ لكن ذلك لم يكن ممكناً في الواقع فلجأ الى أحلامه ليعبر عنها في شعره؛ فيكون الشعر إذ ذاك مجابهة عنيدة لقوانين الحياة العربية، ولأجل ذلك كانت أحلام اليقظة معادلاً لما في دواخل الشعراء من سقوط أو واندثار.

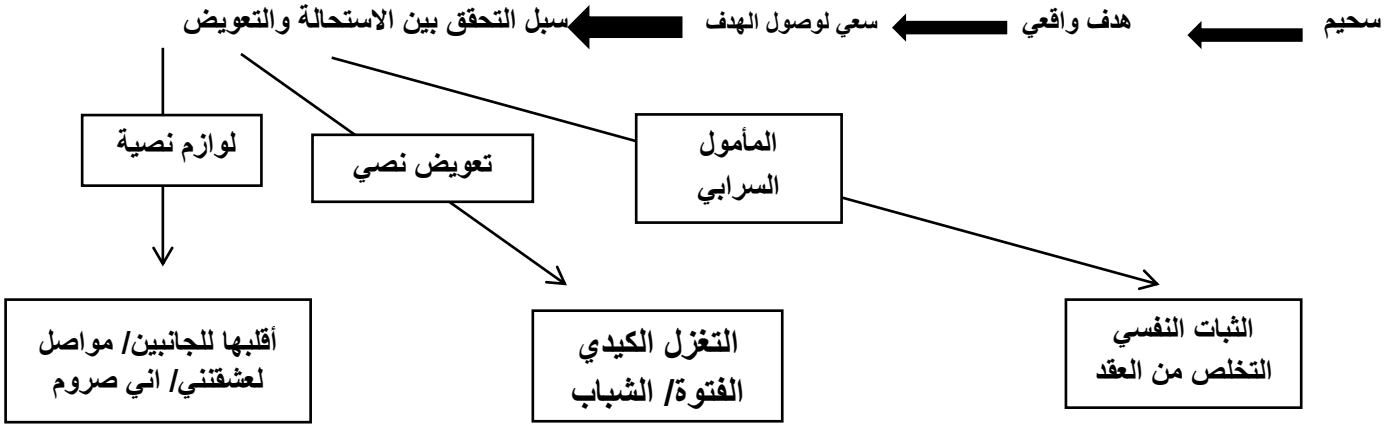

شكل رقم(4) التخطيط التعويضي للمأمول

إذن نلحظ وجود ثلاث نقاط يتجه نحوها الشاعر، فيما يستشعر وجود هدف واقعي في نقطة مرتكزة في ذهنه يتجه ساعياً للوصول الى الهدف. بعدها يتشظى في شعره الى ثلاثة محاور بين الاستحالة والتحقق: في المأمول السرابي، والتعويض النصي، ولوازمه النصية، كما ذكرتها في المخططات المثبتة إزاء كل شاعر.

الخاتمة:

يتضح من كل هذا أن الشعراء قد حققوا برنامجاً تعويضياً من خلال آليات نصية متجذرة في وعيهم، مما دفعهم الى استدعاء فواعل أحلام اليقظة واستثمارها لخلق نصوص موازية لأهداف غير محققة، فنسجوا فيضاً متلاحقا من الخيالات المأمولة تحيل الى دلالات راكزة في وعي الشاعر الجاهلي تسللت الى نصوصه الشعرية محاولة للتقرب منها لا يجدها متحققة، ولو كان ذلك من خلال استدعائها في أحلام يقظتهم، فتمكن الشعراء من خلق دلالات في النص تجعل من رغباتهم ومكبوتاتهم فاعلات وجودية تتماهى في نصوصهم، وبالتالي كل الشعراء المذكورين قد حققوا هذا التعويض كلٌ حسب طريقته ومنواله.

الهوامش:

[1] – لسان العرب، لابن منظور، ج979/2، مادة (حلم)

[2] – ينظر : تفسير الأحلام، فرويد، ترجمة مصطفى صفوان، 570 – 571.

[3] – ينظر: الأحلام تفسيرها ودلالاتها، كيف تفهم أسرار لغة النوم الغامضة، نبرس دي، ترجمة محمد منير 11 –12.

4 – ينظر: ذكريات أحلام وتأملات، يونغ، ترجمة ناصرة السعدون، 175 – 179

5 – دراسات في الأدب العربي القديم، د. كاظم حمد محراث، 59.

6 – تمفصلات الذات وعلاقتها بالآخر في خطاب محمود درويش، د. حسين تروش، 86.

7 – الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية، عبد الإله الصائغ، 61.

8– استضافة النص (دراسات في الشعر العرب المعاصر، عبد الجواد خفاجي، 277.

9 – ديوان زهير بن أبي سُلمى، 209

10– الميتا سرد في الشعر الجاهلي، بتول نعمة علي، 58. (أطروحة)

11– ديوان كعب بن زهير، 100.

12– الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، عبد الإله الصائغ، 60 – 61.

13– ينظر: وصف الجسد في الشعر الجاهلي، ناصر ظاهري، 441.

14 – ديوان الحطيئة، 73– 74.

15– بلاغة التأويل، عبد القادر فيدوح، 180.

16– بلاغة التأويل في الشعر الواصف، عبد القادر فيدوح، 150.

17– وعي الذكورة والمرأة، د. حسين مناصرة، 199. (بحث)

18– ديوان الأعشى، الرضواني، ج236/1.

19– الميتا سرد في الشعر الجاهلي، بتول نعمة علي، 58 – 59. (أطروحة)

20– ديوان المرقش الأكبر، 51

21– ديوان الاعشى، الرضواني، ج288/1.

22– ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، د. حسن جبار الشمسي، 283 – 285.

23– الكاتب المبدع وأحلام اليقظة، فرويد، ترجمة عبد الكريم ناصف، 42، (مقال مترجم)

24– وعي الذكورة والمرأة، د.حسين مناصرة، 199. (بحث)

25– المصدر نفسه : 74 .

26– ديوان امرئ القيس، 101.

27- في النقد الأدبي والتحليل النفسي، الدكتور خريستو نجم، 173.
28- ديوان امرئ القيس، 15 – 18 .
29- الشعر الجاهلي بين الاتباع والإبداع، د. حسني عبد الجليل، 466.
30- تعددية النمط، خالد محي الدين البرادعي، ج2/ 361.
31- ديوان الأعشى، الرضواني، ج207/1.
32- تعددية النمط، خالد البرادعي، ج315/2.
33- رمز الماء في الأدب الجاهلي، د. ثناء انس الوجود، 156.
34- وعي الذكورة والمرأة، حسين المناصرة، 66.
35- حسين الواد الأعمال النقدية الكاملة، ج3ص425.
36- وعي الذكورة والمرأة، 200.
37- دراسات في الأدب العربي القديم، د. كاظم حمد محراث، 172.
38- الإشارات التداولية، ريام كريم حاجم ، 24. (أطروحة)
39- ديوان الهذليين، ج2ص 89.
40- التحليل النفسي والأدب، نويل، ترجمة حسين المودن، 63.
41- الكاتب المبدع وأحلام اليقظة، فرويد، ترجمة عبد الكريم ناصيف، 45 – 46.
42- ديوان الأعشى، الرضواني، ج279/1.
43- المواقف الإنسانية في الشعر الجاهلي، د. حسني عبد الجليل، 107.
44- ديوان عبيد بن الأبرص، 107.
45- التفسير النفسي للأدب، نويل ، ترجمة حسين المودن، 45.
46- سيكولوجية النوم والأحلام، د. حكمت الحلو، 7.
47- التفسير النفسي للأدب، عز الدين اسماعيل، 90.
48- الشعر الجاهلي دراسة في تأويلاته النفسية والفنية، د.سعيد حسون العنبكي، 344.
49- ديوان امرئ القيس ،31- 32.
50- التفسير النفسي للأدب، عز الدين اسماعيل، 45.
51- ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، د. حسن جبار الشمسي، 290.
52- المواقف الإنسانية في الشعر الجاهلي، د. حسني عبد الجليل، 169.
53- دراسات في الأدب العربي القديم، د. كاظم حمد محراث، 90.
54- التفسير النفسي للأدب، عز الدين اسماعيل، 33.
55- ديوان امرئ القيس، 10 – 12
56- تفسير الأحلام، فرويد، ترجمة: مصطفى صفوان، 48.
57- وصف الجسد في الشعر الجاهلي، ناصر الظاهري، 441.
58- ديوان امرئ القيس، 18
59- الواقعي والخيالي في الشعر العربي القديم(العصر الجاهلي)، حميد لحميداني، 18-19.
60- ينظر : التشريح النفسي لمعلقة امرئ القيس(2)، د. صادق السامرائي، (مقال)
61- ديوان امرئ القيس، 19 – 24.
62- الشعر الجاهلي دراسة في تأويلاته النفسية والفنية، د. سعيد حسون العنبكي، 349 – 350

63- التفسير النفسي للأدب، عز الدين اسماعيل، 91.
64- ديوان طرفة بن العبد، 52 – 53.
65- ديوان عنترة ، مولوي، 187 – 205.
66- الخطاب الإبداعي، عبد الإله الصائغ، 44 – 45.
67- شرح ديوان عنترة، الابياري، 168.
68- ينظر : استضافة النص، عبد الجواد خفاجي، 287.
69- شرح ديوان عنترة، الابياري، 100.
70- ديوان سحيم، 16 – 17.
71- بلاغة التأويل في الشعر الواصف، عبد القادر فيدوح، 191.
72- ديوان سحيم، 21 – 23.
73- الحب عند العرب دراسة في الشعر العربي القديم، فضل بن عمار العماري، ج564/2
74- ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، 322 – 323
75- ديوان سحيم، 26.

المصادر والمراجع:

- استضافة النص (دراسات في الشعر العرب المعاصر، عبد الجواد خفاجي، (د. ت)، ط1، 2005م.
- الأحلام تفسيرها ودلالاتها، كيف تفهم أسرار لغة النوم الغامضة، نبرس دي، ترجمة محمد منير، عالم الكتب القاهرة، ط1، 2004م.
- بلاغة التأويل في الشعر الواصف، د. عبد القادر فيدوح، دائرة الثقافة بالشارقة – الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2022م.
- تعددية النمط في الشعر الجاهلي وظلاله الطويلة، خالد محي الدين البرادعي، وزارة الثقافة السورية، ط1، 2005م.
- تفسير الأحلام، سيجموند فرويد، ترجمة مصطفى صفوان، دار المعارف، مصر، ط1، 1994م.
- تمفصلات الذات وعلاقتها بالآخر في خطاب محمود درويش، د. حسين تروش، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط1، 2018م.
- التحليل النفسي والأدب، جان بيلمان نويل، ترجمة حسين المودن، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2018م.
- التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1981م.
- الحب عند العرب دراسة في الشعر العربي القديم، فضل بن عمار العماري، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 2009م.
- الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، عبد الإله الصائغ، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1997م.

- الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية ، عبد الإله الصائغ، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1999م.
- الشعر الجاهلي بين الاتباع والإبداع، دراسة موازنة بين امرئ القيس والاعشى، د. حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للطباعة، مصر، ط1، 2019م.
- الشعر الجاهلي دراسة في تأويلاته النفسية والفنية، الدكتور سعيد حسون العنبكي، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان ـ الأردن، ط1، 2008م.
- المواقف الإنسانية في الشعر الجاهلي الالتزام الاغتراب التمرد، دكتور حسني عبد الجليل يوسف، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط1، 1989م.

- لسان العرب، ابن منظور الافريقي (711هـ)، دار المعارف، مصر، ط1، 1953م.
- الواقعي والخيالي في الشعر العربي القديم(العصر الجاهلي)، حميد لحمداني، ضمن منشورات حميد لحمداني، المغرب، ط2، 2016م.
- حسين الواد الأعمال النقدية الكاملة، دار الجنوب، تونس، ط1، 2020م.
- دراسات في الأدب العربي القديم، د. كاظم حمد محراث، دار الضياء للنشر، النجف الأشرف، ط1، 2007م.
- ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، تحقيق: محمود ابراهيم الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ط1، 2010م.
- ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت(ت244هـ)، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1987م.
- ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1965م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط5، 1990م.
- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، 1950م.
- ديوان طرفة بن العبد، شرح الاعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت، دار الثقافة والفنون ـ دولة البحرين، ط2، 2000م.
- ديوان عبيد بن الابرص الأسدي، تحقيق وشرح حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2004م.
- ديوان عنترة، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، سورية، ط1، 1965م.
- ذكريات أحلام وتأملات، كارل يونغ، ترجمة ناصرة السعدون، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 2001م.
- رمز الماء في الأدب الجاهلي، د. ثناء انس الوجود، الناشر مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، (د.ت).
- سيكولوجية النوم والأحلام، د. حكمت الحلو، دار زهران للنشر، ط1، 2014م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى، صنعة ثعلب، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ط4، 2015م.
- شرح ديوان عنترة، برواية البطليوسي، تحقيق ابراهيم الإبياري وعبد المنعم رؤوف شلبي، يطلب من المكتبة التجارية بشارع محمد علي بالقاهرة، مصر، ط1، 1957م.
- شرح ديوان كعب بن زهير، السكري، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، بالقاهرة، ط3، 2002م.

- في النقد الأدبي والتحليل النفسي، الدكتور خريستو نجم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.
- ملامح الرمز في الغزل العربي القديم دراسة في بنية النص ودلالاته الفنية ، د. حسن جبار شمسي ، دار السياب ، ط1 ، 2008م.
- وصف الجسد في الشعر الجاهلي، الدكتور ناصر ظاهري، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2018م.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

- الميتا سرد في الشعر الجاهلي، بتول نعمة علي الموسوي، أطروحة دكتوراه، بإشراف د. عواد الغزي، كلية الآداب – جامعة ذي قار، 2022م.
- الإشارات التداولية، ريام كريم حاجم ، أطروحة، بإشراف د. عواد الغزي، جامعة ذي قار كلية الآداب، 2022م.

المجلات والدوريات:

- الكاتب المبدع وأحلام اليقظة، فرويد، ترجمة عبد الكريم ناصف، مجلة المعرفة، سوريا، العدد219/1مايو 1981م.

- وعي الذكورة والمرأة، حسين المناصرة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد66/ربيع 2005م.

المواقع الإلكترونية:

- التشريح النفسي لمعلقة امرئ القيس(2)، د. صادق السامرائي، (مقال)، نشر بتاريخ 24 نيسان/ابريل 2019م، في صحيفة المثقف، الرابط/ https://www.almothaqaf.com/qadaya/936409-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A-%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%84%D9%82%D8%A9-%D8%A5%D9%85%D8%B1%D8%A4-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D8%B3-2#